العمل بنظرة روحية (اليهودية، المسيحية، الإسلام، الإصلاح الديني مع النهضة الأوروبية)

Work with a spiritual view. (Judaism, Islam, Christianity ,Christian reformation with the) European renaissance

شريف صديق
جامعة يحي فارس المدية (الجزائر)
seddikcherif@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/04/01 **تاريخ القبول: 2022/05/25**

ملخص:
كان العمل ولازال على مرِّ الزمن محور اهتمام الإنسان و حركته الدؤوبة في بناء ذاته الاقتصادية والاجتماعية ، دعمته الأديان وجعلته مقدس، القيام به عبادة و الإعراض عنه تقصير في واجب الإستخلاف ، فكان الأداة في توفير حاجة الغذاء و الوسيلة في تحويل المواد إلى الصورة التي تجعلها جاهزة للاستعمال، فأخذ الإنسان من التعاون سبيله لتذليل صعوبات العمل ، وجعل من التنظيم وسيلته للاجتماع وخلق الطاقة المناسبة لمواجهة التحديات التي يفرضها الإنجاز.
اكتسب العمل قيمته الاجتماعية، الإخلاص في إتقانه تغمرها غبطة روحية ، العزوف عنه انفصال عن الجماعة، فأصبح العمل ثقافة، الإقبال عليه تغذيه قيم ، الإنجاز عبر التاريخ صورة عن التفاعل، مكانة العمل المحورية أظهرتها الحضارات البشرية ، عززتها الأديان وجعلته سبيل لنيل رضا المعبود ، بما يكفر الذنب ويجلب الثواب.
كلمات مفتاحية: العمل؛ العمل والأبعاد الروحية؛ مكانة العمل في الأديان.

Abstract:

Work has been and continues over time to be the focus of human attention and its tireless movement in building itself economically and socially. Religions supported it and made it sacred. Doing it is worship and turning away from it is a failure in the duty of succession , so it was the tool in providing the need for food and the means in converting materials into a form that makes them ready for use. The right energy to meet the challenges posed by achievement. so the human being took his way of cooperating in overcoming difficulties, and making organization the means to meet and create Sincerity in its mastery is flooded with spiritual glee and reluctance from work.

It is a separation from the group. As a result, work became a culture of turnout fueled by the values of achievement throughout history, A picture of interaction, The pivotal position of work has been demonstrated by human civilizations, reinforced by religions and made a way to gain the approval of the Deity, in a way that expiates sin and brings reward.

Keywords: Work; keywords; Work and spiritual dimensions; The position of work in religion.

مقدمة:

لقد شكّل العمل محور حركة الإنسان عبر التاريخ، وبقي السبيل الأمثل في اكتشاف أبعاد الكون والاستثمار في أسراره. بالرجوع إلى تاريخ الحضارات، فبالرغم من أن شواهدها وآثارها كلها تعبّر على نشاط الإنسان من خلال العمل الذي بذل في إنجازها، إلاَ أن منظومتها الثقافية وما ورد في التاريخ يبين أن النظرة إلى العمل تختلف من حضارة إلى أخرى، ما يعطي للعمل والعامل معنى ومكانة وقيمة تختلف باختلاف الحضارات وتنوعها، منها ما عزز من مكانته ومنها ما جعله رمز للعبودية والاستغلال. بالنسبة للأديان السماوية أو الوضعية، فإن المنظومات والممارسات الدينية هي الأخرى جعلت مفهوم العمل يتطور ويأخذ معنا له في حياة المجتمعات، حيث اتفقت جل الأديان السماوية على تمجيد العمل واعتباره عبادة وسبيل لتحقيق معنى الاستخلاف. إظهارا لقيمة العمل وأهميته من خلال المنظور الديني والمتدينين، يفرض علينا تسليط الضوء على أهم الأديان التي عرفتها البشرية وأثرها الروحي على معنى العمل وقيمه، ابتداء من العمل عند اليهود، العمل عند المسحيين، ثم العمل في الدين والمجتمع الإسلامي، ومنه نختم بالعمل مع مرحلة الإصلاح الديني في أوروبا وما تركته من أثار جديدة في النظرة للعمل وأهميته قيمة ومكانة .

الإهتمام بالعمل في مختلف الأديان التي تم الإشارة إليها و مختلف الإصلاحات التي عرفها بعضها ، دفعنا للبحث في النصوص والكتابات ، متسائلين عمّا أسهمت به الأديان والإصلاحات الدينية من قيم التحفيز على العمل ودرجة تقديرها للقائمين عليه ؟

أولا: مكانة العمل في البناء الاقتصادي الاجتماعي.

إنَ تحديد وتحليل مفهوم ومعنى العمل أخذ اهتمام العديد من الدراسات، فإذا كان الاقتصاديون قد تطرقوا إلى الموضوع باعتباره الأساس في خلق قيمة الأشياء وتداولها في السوق، فإن المختصين في علم الاجتماع يعتبرون العمل المحرك للعلاقات الاجتماعية وتطورها، كونه المحدَد لدور الفرد ومكانته في المجتمع، كما أنه المفسر لتطور المجتمع في شبكة علاقاته عبر التاريخ، وهو ما أشار إليه الفكر السيسيولوجي الحديث بالتقسيم الاجتماعي للعمل.

" علماء الاجتماع ينظرون إلى العمل باعتباره ظاهرة عامة في حياة الإنسان والمجتمع، وللعمل سمة أساسية وهامة يتميز بها الأفراد والجماعات في كل المجتمعات الإنسانية باعتباره يمثل مظاهر السلوك اليومي التي تدور حوله كافة الأنشطة الإنسانية في المجتمع، وهو أسلوب من أساليب معيشة الإنسان بهدف تحقيق غايات الفرد والجماعات[1].

في نظر علماء الاجتماع إذا قلنا إنسان قلنا عمل ، العمل هو الحركة الفردية والجماعية التي تفسر الكثير من سلوك الإنسان اليومي والتي من خلالها تكشف رغباته وأهدافه ، الحركة التي تعبر عن المخزون القيمي للفرد والمجتمع ، ومدى قدرة هذا المخزون للبذل فرديا والتفاعل إجتماعيا لخلق طاقة الإنجاز .

إنَ طريقة تفاعل المجتمع ودرجة هذا التفاعل من خلال العمل كنشاط يومي، جعل هذا الأخير يتأثر بقيم المجتمع ومدى تقديس هذا الأخير له أفراد وجماعات، كما جعل العمل نفسه يؤثر في القائمين عليه، الشيء الذي يخلق لديهم ويضيف في المجتمع قيما جديدة، وهو ما يظهر في التركيبة الثقافية للمجتمع، كما يعكس درجة تحضَر المجتمع .

تعكس القيم الاجتماعية نحو العمل درجة الثقافة والحضارة لهذا المجتمع فقد أشار رولف لينتون Rolph. Linton، 1945 إلى العديد من الحقائق المتعلقة بالعلاقة بين المستوى الثقافي الحضاري للمجتمع وأفراده، حيث خلص إلى[2]:

• أن المجتمع (وليس الفرد) هو الذي يعكس نوع المثابرة للبقاء.

• أن المجتمعات تتكون من وحدات إنتاجية ووحدات خدماتية، وتعمل مع بعضها بشكل متناسق متكامل.

• أن المجتمعات تعمل على تحسين معيشة الفرد.

• يوجد تقسيم للعمل كمدخل لخلق الأنشطة والوظائف للأفراد في المجتمع، فالثقافة تعتبر أسلوب الحياة للمجتمع وهي بهذا الوصف مقياس لهذا الأسلوب أو الخط والتوقع المحتمل لأي فرد من أفراده.

"وينظر علماء الاجتماع إلى معنى العمل في أطار مفاهيم النسبية المكانية والزمانية باعتبار أن العمل يعتبر من المعاني النسبية التي تختلف باختلاف البناء الاجتماعي، وباختلاف الزمان والمجتمعات"[3].

فالمجتمعات والثقافة المحركة لطبيعة العلاقات الاجتماعية فيها ، تعكس إلى حد كبير قيم المجتمع نحو العمل، كما أن التفاعل مع العمل يفسر لنا بصورة واضحة مدى تضامن المجتمع، وهي كلها مبرَرات تجعل البحث في علم الاجتماع العمل لا يمكن أن يقف على تطور مفهوم ومعنى العمل وقيمته إلا من خلال العودة إلى تاريخ المجتمعات نفسها والوقوف عند الحضارات والأديان، خاصة السماوية، إضافة إلى الفكر الاقتصادي السيسيولوجي الحديث المتناول لتحليل معنى العمل وتطوره اجتماعيا، إمعان الفكر في مجموع هذه الأبعاد يبين أن ما عرفته البشرية من عقائد وأديان له من الأثر بما لا يدع مجالا للشك في التأثير على قيم العمل وصياغة أبعاده الروحية والاجتماعية.

ثانيا: مكانة العمل في الأديان والمجتمعات الدينية.

1. العمل في الدين والمجتمع اليهودي:

إن تعاليم الدين اليهودي جعلت من العمل يقترن حتى بأصحاب الرسالات منهم وهم الأنبياء، وها هو داوود عليه السلام يحترف الحدادة " وعلمناه صنعة لبوس" .(سورة الأنبياء، الأية79)، "وألنا له الحديد " (سورة سبأ، الأية10)، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن احتراف العمل اليدوي لا ينقص من قيمة الإنسان حتى وإن كان نبيا من أنبياء الله. وقد تجلَى ذلك في ثقافة اليهود وحبَهم للعمل. " عُرف عن اليهود تفانيهم في العمل خاصة مع النبي سليمان عليه السلام ، في مختلف المجالات الفلاحية وتربية المواشي، كما لعبت الصناعة دورا في الحياة الاقتصادية عند بني إسرائيل على الرغم من أنها كانت تقوم على عدد صغير من الحرف"[4].

ولخلق عملية التحفيز على النشاط والعمل الذي يساعد المجتمع على الاستقرار والإعمار، فإن اليهود جعلوا للمزارع النشيط مكافأة خاصة وذلك بإعفائه من الواجبات العسكرية، إذ بعد " استقرارهم في أرض كنعان فتحوا عهد الحضارة والاستقرار فتركوا مهنة الرعي وتوجَهوا إلى الزراعة حيث أن أسفار العهد القديم حثت بني إسرائيل على استغلال الأرض، وحببت إليهم ذلك وراعت ما جبلوا عليه من جنوح للكسل وعزوف عن العمل وبذل الجهد فأغرتهم على الزراعة بمغريات كثيرة، منها قررت أن يعُفى من الخدمة العسكرية كل من زرع كرما حتى يؤتى الكرم ثماره أي مدة خمس سنوات و هي المدة التي تقتضى عادة لزراعة الكروم حتى يتحقق أول إنتاج لها"[5]. عقيدة العمل في المجتمع الإسرائيلي متجذرة بعقيدة انبيائهم ومجموع رسالاتهم

الممجدة للعمل ، فالأنبياء على درجة مكانتهم العالية ، نجدهم رمزا في البذل والتفاني والعطاء ، رمزية ذلك ، حررت المجتمع ومنحته ثقافة العمل والإنجاز ، كما منحته القدرة على خلق سبل التحفيز وفتح المجال لكل مجتهد في مجال العمل وإستغلال الأرض .

الكتب المتداولة في المجتمع اليهودي لها من النصوص ما يجعل كسب الإنسان بيده شرف وهو ما دل عليه التلموذ إذ ينص على أن " قدر العمل عظيم لأنه شرف العاملين (التلموذ)"[6]. ما يبين أن قدسية العمل في النصوص ، كان لها إسهام الواضح في إعلاء شأن القائمين عليه. كما تدل نصوص أخرى على أنه " ليس للإنسان خير من أن يأكل ويشرب ويرى نفسه في تعبه"[7] التعب لتلبية حاجة المأكل والمشرب خير للإنسان ، نص يدفع الإنسان للعمل والإبتعاد عن الإتكال على غيره ، نص يريد أن يصور للإنسان خيريته في المساهمة وتحقيق حاجاته بنفسه ، إكراما لنفسه ولمجتمعه .

وفي نص آخر نجد الاعتقاد اليهودي يؤاخذ المتأخر عن العمل ويساويه بمرتكب معصية السرقة " المتأخر عن العمل هو أخ السارق"[8]، وهو التشديد على الصرامة في العمل والالتزام بضوابطه وأولها الوقت ، سرقة الوقت التي يقابها التراجع في الإنجاز والتطفل على جهد الأخرين .

أما الشريعة الموسوية فقد نظمت أيام العمل وجعلتها ستة ، واليوم السابع تركته للعبادة فتقول:

" أذكر يوم السبت لتقدسه، ستة أيام عمل تعمل وتصنع جميع عملك وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب، لا تصنع فيه عملا أنت وابنك و ابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك.... لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها، واستراح في اليوم السابع، لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه"[9]. يوم راحة وعبادة ، راحة بعد جهد وليس راحة بعد فراغ ، راحة لتجديد الطاقة العضوية ، عبادة لتجديد الطاقة الروحية . قدسية يوم السبت بإعتباره يوم عبادة ، نفسه اليوم المقدس ببركته بإعتباره يوم راحة بعد جهد ، يوم تجلت معانيه فيما يعتقده اليهود من راحة الرب بعد أداء عمله في خلقه للكون .

كما أن الشريعة الموسوية اهتمت بعلاقات العمل وتنظيمه وحثت صاحب العمل على الابتعاد عن الظلم للعامل واعتبرته أخا له، والواجب تسديد له أجره في وقته المحدد فتقول: " لا تبيت أجر أجير عندك إلى الغد، ولا تظلم مسكينا وفقيرا من إخوتك أو من الغرباء الذين في أرضك، في يومه تعطيه أجرته ولا تغرب عليها الشمس"[10] . في الممارسة الاجتماعية للعمل وتنظيمه فإن نظرة المجتمع للعمل والقائمين عليه من العمال لم تكن بتلك الدرجة التي حث عليها الدين، حيث " امتدت نظرة اليونانيين إلى العبرانيين في النظر إلى العمل باعتباره شرا من الشرور، إلا أن هذه المفاهيم قد اصطبغت بالناحية الدنية فارتبط مفهومهم للعمل بتعاليم الدين ونظرا إلى

العمل بمفهوم الشقاء الذي أجبر عليه بنو البشر للتكفير عن خطيئة آبائهم على وجه الأرض"[11].

فالإنسان في نظرهم كما ورد في التلموذ أن المرء إذا لم يجد طعاما مثلما تجده الطيور والحيوانات دون أن تسعى إليه، فالسبب في ذلك يعود إلى الخطيئة الأولى (خطيئة آدم وحوّاء) وأن العمل يكفر من هذا الذنب[12].

ومن منطلق أن العمل شر، فإن المجتمع أخذ تنظيمه الاجتماعي في شكله وفقا لتقسيمهم الاجتماعي للعمل وعناصر الملكية. " فالعلاقات الاجتماعية بينهم كانت تقوم على ثلاثة عناصر هي: الملكية، الأسرة، الدين، وكانوا ينقسمون إلى فئتين متميزتين وهي العبرانيين الأحرار أو العاديين والعبرانيين المذنبون وأسرى الحرب الذين كانوا يتحملون أشق الأعمال ويتخذون عبيدا وخدما للعبرانيين الأحرار"[13].

وعلى الأساس الطبقي الذي ظهر عليه المجتمع فإن هذا الأخير عرف عدة ظواهر اجتماعية لا تمد للدين بصلة ، " فبظهور الطبقية في المجتمع الإسرائيلي أصبحت الطبقة الغنية لكي تبقى على مستواها المعيشي تقوم بابتزاز الطبقات الدنيا وتجريدها من كل شيء فكانوا يأكلون أموال الناس بالباطل ويمدَون أيديهم للرشوة ويسلبون أموال الضعفاء والأرامل واليتامى ويقرضون المعوزين من بني إسرائيل وغيرهم ربا فاحش وهذا عكس ما جاء في كتابهم المقدسَ"[14]، وهي ممارسة تفرض وجودها حسب الطبقة الاجتماعية المتحكمة في الوضع والمسيطرة من خلال القوة والملكية، وإن تدخل عنصر الدين في الحياة الاجتماعية فإن تدخله لا يتجاوز حدود الشعائر أو يأخذ كمرجعية تستمد الطبقة المتحكمة ما تراه يناسبها في بسط شرعيتها أكثر في الاستغلال للطبقات الأخرى.

ومن منطلقات دينية اجتماعية وطموحات اقتصادية، فإن المجتمع اليهودي في مراحل تاريخه انقسم إلى عدة فرق دينية كلا منها تدعي أنها على حق في درجة تمسكها بتعاليم الدين .

2. العمل في الدين والمجتمع المسيحي:

تعدَ المسيحية من الأديان الأولى التي جاءت بتشريع رباني هدفه إرشاد الإنسان وتوجيهه عقائديا بتعريفه بربه، وتعريفه بغايته من الحياة الدنيا، وهو ما تجلى في العمل الرسالي لنبي الله عيسى فقد روي عنه " عليه السلام أنه رأى رجلا، فقال: ما تصنع؟ فقال: أتعبد .قال: من يعولك؟ قال: أخي، قال: أخوك أعبد منك"[15].

والمسار نفسه سلكه المصلحون من أئمة الديانة المسيحية ، مع تعاقب الزمن فإن القائمين على الديانة المسيحية كان لهم من الاجتهاد والابتداع في الدين ما جعل هذا الأخير يحتفظ في

بعضه بالأصل وهو ما يحث على حب الخير للناس في عمومه، كما لحق به من الإضافات ما جعلت نصوصه تمتزج برغبات وطموحات اجتماعية واقتصادية، منها ما يخدم أبعاد الدين والمجتمع، ومنها ما يخدم طبقات بعينها، ومن هذه الاجتهادات، فإن المسيحية عملت على بث الكثير من الأفكار التي كانت تنادي " بالمساواة بين الأفراد، فليس هناك أغنياء وفقراء وسادة وعبيد وأحرار وأرقاء"[16]، وهي كلها أفكار تريد أن تساوي بين البشر من حيث الحق والواجب، وظلت الكنيسة تساهم في تنشئة الفرد والمجتمع على قواعد أخلاقية هدفها إيجاد الخير وإرضاء الرب، والسلوك الاقتصادي هو الآخر اهتمت به الكنيسة حيث " كان مثله مثل السلوك الفردي تحكمه قواعد أخلاقية والتي يتشربها الأفراد بدرجة كبيرة في دور العبادات وتحت إشراف رجال الدين في الكنيسة ومن ثم حققت الأعمال أرباحا كانت تنفق في سبيل الحصول على رضا الله"[17]، ومع ما ساد في المسيحية من اعتقاد لمفهوم الشقاء الذي يعيشه الإنسان في الأرض، باعتبار " أن الإنسان الأول آدم وحواء قد ارتكبا معصية في حق الله عندما أكلا من الشجرة المحرمة، وعليه فتردت النفس البشرية أو سقط الإنسان الأول في الخطيئة، وتوارثت ذريتهما الخطيئة، فأصبح الإنسان بطبيعته غير رشيد أو مسير وغير حر. وغير عارف للخير العام أو قادر على الوصول إليه إلا من خلال الكنيسة"[18].

من هنا فإن هذا الاعتقاد ترسخ أكثر وظهر آثاره في شؤون الحياة " لتتبع التقاليد المسيحية الأولى المنظور العبري في النظر إلى العمل كعقاب فرضه الإله على الإنسان ليكفر به عن خطيئة أسلافه، إلا أن الديانة المسيحية قد أضافت إلى هذه النظرة السلبية وظيفة إيجابية فاكتسب قيمة وضعية حيث بدؤوا يدركون أن العمل يعتبر ضرورة أساسية لصحة الجسد والروح، ودونه يكون الإنسان عرضه للوقوع في الخرافات والعادات غير المرغوبة، ومن هنا نظرت المسيحية إلى أن واجب الإخاء المسيحي هو توفير فرص العمل للمتعطلين حتى يمكن إبعاد الإنسان عن التفكير في الخرافات، فإذا رفض الإنسان أن يعمل كان من واجب المجتمع إبعاده عن حياة الجماعة حيث لا يستحق أن يعيش في وسط الجماعة"[19].

ولو أن العمل في صورته الاجتماعية أصبح مراقبا اجتماعيا، كون المجتمع لا يقبل المتقاعس عن العمل، إلا أن تعاليم المسيحية انحرفت به إلى معاني روحية فقط ، وحجتها في ذلك ترجع إلى ما تنص عليه بعض تعاليمها بشأن حب المال الذي يعد أمرا منبوذا عقيدة وممارسة وبذلك اكتسب العمل قيمة روحية ذات طبيعة خاصة بهدف الارتقاء بالنفس البشرية وإبعادها عن الشرور والآثام، ولم يكن معنى العمل في الفكر المسيحي مرتبطا بالعائد المادي، " لأن المسيحية نظرت إلى حب المال كأساس لظهور الشرور والآثام التي تعاني منها البشرية "[20].

تعززت هذه الأفكار الروحية مع " **(أوغستين** 353-403 م) الذي درس نظام الملكية الفردية وأرجع حقها إلى الذات الإلهية فالله وحده هو المالك الحقيقي وهو الذي يستطيع أن يتصرف في الملكية كيف يشاء، وأن يتصرف فيها بإيداعها بيد الإنسان، فملكية الإنسان ليست إلا ملكية نسبية لأنها تخضع لإرادة الله فهو يسمح للإنسان بالانتفاع بالخيرات التي تفيض من كرمه لكنه لا يسمح بالإساءة في حق الانتفاع"[21] .

من تفسير روحي لحق الملكية والعمل المؤدي إليها بغرض الاكتساب والتملك، فإن المسيحية من خلال الفكر **الأوغستيني** جعلت العمل أمرا يلزم حتى الرهبان، وهي إضافة خلصت العمل من بعض ما لحق به من أوصاف على أنه شر، بل أصبح ضرورة لأجل تحقيق الحاجات الاقتصادية، وهو مالا يمكن الوصول إليه إلا من خلال تضامن اجتماعي يجمع الناس، وتوطيد العلاقة بينهم، وبه اتجهت الكنيسة إلى تحديد مفهوم جديد للعمل، وتوضحت معالمه أكثر في فكر " **أوغستين** الذي وضع نظرية العمل الإجباري التي تذهب إلى أن العمل يجب أن يكون ملزما على طبقة الرهبان بهدف تلبية الحاجات التي يتطلبها الدين، ومنها الحب الأخوي لبني البشر، ووضع القديس **أوغستين** إطارا عاما للمعاملات المهنية، يحدد أخلاقيات العمل لأصحاب الحرف والتجار تتلخص في الالتزام بالكسب، العدل في معاملاتهم التجارية"[22]، بهذه الخطوة يكون العمل قد اكتسب مكانته في الفكر المسيحي من حيث الاهتمام بجوانبه الأخلاقية التي يجب على العامل والحرفي وغيرهم من الوظائف الأخرى أن يتحلوا بها وعلى رأسها كسب الحلال الذي يحقق أسمى المعاني الروحية التي تهدف المسيحية إلى نشرها بين البشر، من هنا تكون قد ساهمت " الكنيسة الكاثوليكية الأولى في تفسير معنى العمل بإضافة فكرة جديدة ترتبط بالجوانب الروحانية باعتبار أن قيمة العمل لا تكمن في العمل ذاته، إنما بارتباطه بالعلاقات الإنسانية التي يسعى إلى تحقيقها الإخاء الإنساني، وبذلك اكتسب العمل مكانة مشرفة في الديانة الكاثوليكية التي ميزت نوعين من العمل، يطلق على النوع الأول اصطلاح العمل الروحي، ويطلق على الثاني اصطلاح العمل المادي"[23] ، العمل سبيل لتحقيق الإخاء الإنساني، إنها رابطة إجتماعية حية تهدف الكنيسة خلقها من خلال العمل وما يحمله من أبعاد روحية .

مع التطورات التي عرفتها أوروبا " من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر، وخاصة خلال القرن الثاني عشر حيث تحولت القيمة الأخلاقية الوحيدة إلى قيمة اقتصادية دعت إلى كسب القوت اليومي بالكد وبذل الجهد العضلي الشاق، وقد بدأ هذا التحول عندما استطاع القديس فرنسيس بإلزام أتباعه من الرهبان بالعمل اليدوي الشاق الذي يحقق لهم توفير احتياجاتهم لكسب مرضاة الرب"[24]، وهي إضافة أخرى لا تعفي حتى الرهبان من السعي لكسب الرزق، كما

أنها خطوة نحو نزع عن العمل ما لصق به عبر زمن طويل من صفات لا تليق أن تظهر على الأشراف. إذا كانوا من ممارسي العمل، وخاصة إذا ما كانوا هؤلاء الأشراف من صنف الرهبان، وهم السلطة الروحية المبجلة في المجتمع، وقد ساعدت هذه الخطوة في تحرير العمل من بعده الروحي المحض والمضي به إلى الإباحة في طلب الربح والمال من خلاله. وهو ما تجسد فعلا مع " القرن الثالث عشر ميلادي، حيث حدث تحول واضح في قيمة العمل من خلال ما دعا إليه القديس **توماس الإكويني** (1225–1274) **(Thomas Aquinas)** فقد دعا إلى أن العمل حق طبيعي وممارسته واجبة وأن تحقيق الربح وحيازة الملكية جائزة شرعا، وقد جاءت هذه الدعوة مناهضة لتعليمات الكنيسة التي تحرم إقراض الأموال وتحقيق الربح، مما أدى إلى ركود الحياة الاجتماعية والاقتصادية في أوروبا"[25].

وبالرغم من هذه الجهود في تحرير العمل إلا أن الكثير من الرواسب التي ترسخت كتقاليد وتعاليم دينية لم تجعل العمل يكتسب قيمته الاقتصادية بسهولة حيث ذكر " تلغر **Tilgher** أن مفهوم العمل خلال تلك الفترة وما سبقها ارتبطت به قيم ضمنية كما كان العمل لا يمثل ضرورة اجتماعية للإنسان، ومن المنظور الاقتصادي كان مفهوم العمل التقليدي عندما سادت أوروبا فلسفة الحياة في المذهب البيوريتاني **purilonism** كانت تحث على غرس قيم العمل في البالغين من أفراد المجتمع، ودعوتهم في الوقت ذاته لغرسها في الأولاد خلال مراحل التنشئة الاجتماعية لهم داخل محيط الأسرة "[26]، وأخذت الأسرة وبقية المؤسسات الاجتماعية الأخرى مسؤولية التنشئة من خلال مجموعة قيم العمل التي يدعو إليها المذهب البيوريتاني:

- تحمل المسؤولية؛
- ضرورة العمل الشاق وأهميته.
- التعاون في العمل مع باقي أفراد المجتمع.
- القيمة المادية للعمل[27].

وهي كلها قيم تريد أن تحرر العمل وتجعله واجبا ويمكن الكسب المادي من خلاله، كما تريد هذه القيم أن تطبع المجتمع، بأن الكسب يرتبط وإلى حد بعيد بالعمل، وما على الجميع إلا التعاون والإيمان بذلك، وهي إرادة ناشئة لخلق ثقافة جديدة للعمل تريد أن تقول أن العمل ليس أمرا روحيا وفقط، وإنما طلب المال من خلاله مقبول، ويسمح للمتدين المسيحي أن يسع من خلال نشاطه في العمل إلى كسب المال وتحقيق الأرباح.

رغم حالة التضارب في الأفكار والمذاهب والاتجاهات التي سادت أوروبا المسيحية في هذه الحقبة التاريخية " إلا أن النظرية الكاثوليكية اتخذت من مفهوم العمل على هذا النحو إطارا

عاما للتفسير خلال القرون اللاحقة وحتى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ويمكن أن نلمس تغييرا واضحا في مفهوم العمل مع ظهور الحركات الكاثوليكية الديمقراطية التي عرفت بالاشتراكية الكاثوليكية والاشتراكية المسيحية، حيث اتجه مفهوم العمل باعتباره أساس كل مظاهر التقدم الإنساني، واعتبر العمل واجبا تكفله القوانين المقدسة والإنسانية ويلزم كل إرادة تعمل على تنظيم المجتمع أن تؤمن لجميع أفراد المجتمع حق العمل كضرورة طبيعية تترتب على حق الحياة"[28]، وهو المسار الذي سارت عليه قيم وثقافة العمل مع ظهور مذهب وحركة الإصلاح البروتستنتية التي كان دورها واضحا في تنمية هذه الثقافة كما سنراه في العمل مع الإصلاح الديني فيما بعد.

3.العمل في الاسلام:

إن الصورة التي ظهرت عليها الشريعة الإسلامية بدت مهتمة بقضايا الإنسان وعلاقاته مع الكون، وفي هذا أخذت من العمل سبيلا للوصول إلى تحقيق غاياته بما يتوافق مع الشرع ويرتضيه الخالق، وهو ما يعرف بخلافة الله في أرضه في شتى مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، بل وكل ما يمكن أن يحقق من خلاله الإنسان حاجاته في التعمير والاستمرار، ومنه اكتسب العمل شرعيته وأصبح واجبا من منطلق أن جملة الواجبات التي حث عليها الإسلام لا تتم إلا به. بذلك ارتقى العمل لدرجة أنه أصبح عبادة بعد العبادات المفروضة التي بني الدين الإسلامي عليها، فالسعي على العيال والعمل والاستغناء عن سؤال الناس من أفضل العبادات، وهو ما تجسده النصوص القرآنية والسنة النبوية وتعارف عليه علماء الشريعة وتحلى به الصالحين من أمة الإسلام عبر التاريخ.

1.3 العمل في القرآن الكريم:

علو مكانة العمل في الإسلام جعله يأخذ حيزا واسعا في القرآن "لقد تكررت كلمة العمل في القرآن الكريم في تسع وخمسين وثلاث مائة آية[29]، كما أشير لهذه الكلمة " وذكرت لفظة عمل واشتقاقاتها أربعمائة وسبع مرات في القرآن"[30].

ذكر العمل في القرآن يرتبط في الكثير من الأحيان بالإيمان، إذ يجعل القرآن من الإيمان المنطلق والغاية التي يراد للعمل أن يسلك مساره في تحقيق غايات الإنسان. أين يكون المنطلق ربانيا، وبذلك تخلص النية مع الله أولا في ابتغاء الحلال ثم تخلص العلاقة مع الكائنات في عدم الإضرار بهم وبمصالحهم وتكون الغاية أو المقصد ربانيا وذلك بعمارة الأرض بالصلاح وهو ما يحقق بعد الاستخلاف والحصول على رضا المولى تبارك وتعالى، وبهذا يصبح الإيمان المحرك

والموجه لنشاط الإنسان " فالإيمان بلا عمل في مفهوم القرآن هو جمود وهروب وتعطيل، والعمل بلا إيمان هو ضلال وضياع"[31]. يعتبر الإسلام العمل أساس كل شيء، إذ يقول الله في كتابه: « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى » (سورة النجم، الآية 105). ويقول كذلك: « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » (سورة التوبة، الآية 105).

والإسلام إذ يعتني بالعمل وفقا لما ورد في القرآن فإنه " ينطلق من النظر إلى العمل أنه سنة الحياة وقانون الوجود وطريق السعادة في الدنيا والآخرة"[32]، والقرآن في تأكيده على أن العمل عبادة يرشدنا إلى أن ذلك في متناول الإنسان وهو تكليف يتوافق والفطرة أو يتوافق مع طبيعة الخلق، " فإن الله خلق الأيدي للعمل"[33].

وإذا قلنا الاستطاعة، فإن الخالق لم يكتف في التكليف من خلالها فقط، وإنما أضاف إلى ذلك تكييف الطبيعة حيث جعلها ذليلة في أيدي الإنسان فالمولى تبارك وتعالى يقول في هذا الشأن " هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور"(سورة الملك، الأية15)، فالقرآن يؤكد إمكانية الحصول على الرزق باعتبار الأرض أودعها الله من الخيرات والثروات ما يؤهلها لذلك، لكن سنة السعي ألزمها الإنسان من أجل الوصول إلى هذه الخيرات أين يبين ذلك من خلال الضرب في الأرض فيقول " علم أنه سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله، وآخرون يقاتلون في سبيل الله "(سورة المزمل، الأية20)، وإن كانت السورة خاصة بأمر قيام الليل، أين كان هذا الأخير من العبادات التي يروى أنها كانت مفروضة في أول الأمر، إلا أن الأمر بها يأتي في شكل يفيد التخفيف لما ينتظر المؤمن نهارا من واجبات طلب الرزق وابتغاء فضله من خلال الضرب في الأرض، وهو تكليف تساوى حتى مع الجهاد في سبيل الله رغم ما يتطلبه الجهاد من تضحية، حيث قرن الله تعالى في هذه الآية الكريمة بين العمل والجهاد في سبيل الله، بل قدم العمل عليه في الذكر لبيان مزيد من فضله وأهميته في تحقيق القوة والثروة للمجتمع حتى لا يتجه الجميع نحو الجهاد فقط، ظنا بأنه أولى من الإنتاج وإنما يتساوى في الأهمية مع الجهاد.

كما أن الإسلام حث على العمل وجعله بعد الذكر حتى يوم الجمعة الذي يعد يوم عيد وعبادة في أيام المسلمين، فيقول: " يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون، فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون"(سورة الجمعة، الآيتين 10-11)، هي دعوة مباشرة للعمل تريد أن تجعل من الصلاة محطة اختبار للمؤمن، ومدى موازنته بين ما تتطلبه علاقته بربه من حضور في الوقت وتلبية للنداء، وبين ما يجده في الدنيا من متعة لما

يتحصل عليه من كسب، وهنا تصبح الصلاة سبيلا للمؤمن لمراجعة علاقته بربه وتنظيم إقباله على الحياة بشيء من الأخلاق الحسنة وبما ينفع القائم على العمل والمجتمع معا دون أن يلحق العامل أو التاجر الضرر بالآخرين من خلال ما يقوم به من أعمال، وهنا يكتسب العمل صفة العبادة " لأن السعي في طلب الرزق هو عبادة كسائر العبادات، والله سبحانه وتعالى وصف الرزق بأنه فضل منه ، وأن العمل والسعي سبب للنجاح أو الفلاح لقوله تعالى: «لعلكم تفلحون »، وإذا كانت الجمعة فريضة مهمة فهي لا تمنع الإنسان من السعي والانتشار في الأرض طلبا للرزق لأن الفريضة لا تستغرق من الوقت إلا الجزء القليل"[34] ، لا تأخذ من الوقت إلا القليل ، لكنها العبادة المنظمة لواجب العمل الذي يعد هو الآخر عبادة لكسب الحلال و مشاركة المجتمع بما يحفظ كرامة أبنائه وكيانه إقتصاديا أمام المجتماعات الأخرى .

و"هي سمة تميز المنهج الإسلامي في دعوته للإقبال على الدنيا، ودعوة أخرى لمراجعة النفس وتطهيرها مما قد يلحق بها من أمراض اللهف على الدنيا والتغافل على مراقبة الله عند السعي وطلب الرزق، والعمل حق وواجب في الوقت نفسه فالله تعالى أمر به إذ يقول: وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون. (سورة التوبة، الآية 105)"[35]، وزيادة على أن العمل حق وواجب فإنه مسؤولية سيحاسب الإنسان عليها يوم يردَ إلى مولاه ويقابله في عالم الآخرة.

2.3 العمل في السنة النبوية:

إن الإشارة إلى العمل من باب السنة النبوية يقودنا إلى قدوة النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، وهم الأنبياء الذين ذكرهم الرسول صلى الله عليه وسلم في مواطن كثيرة بأن إقبالهم على العمل وممارسته كان من باب العزة التي تميزهم في طلب الرزق، وقد جاء في صحيح البخاري وغيره أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: " ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، وأن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده "[36] ، المساهمة والبذل والحياة بعزة ، الصفة التي حث نبي الإسلام عليها ، الصفة التي ترفع من شأن المؤمن ولا تجعله متواكلا طفيليا خضوعا خنوعا طالبا غذائه وحاجاته من غيره في عجز وكسل .

وقد جاء في الأثر عن أبي عباس أنه قال: " إن آدم كان حراثا، وكان نوح نجارا، وإدريس خياطا، وداود زرادا (أي صانع الدروع)، وموسى راعيا، وإبراهيم زارعا، وصالح تاجرا، وسليمان أتاه الله الملك"[37]، صفات تدل على مدى تمسك الأنبياء بالعمل باعتباره سبيلا للكسب المشروع، تنوعت مهن الأنبياء وتدرجت من أبسط المهن وأحقرها عند البعض (راعيا) إلى أعلاها وأرقاها من قيادة الأمم ودعوتها إلى سبيل النجاة .

عن " أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم، فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة"[38].

ولقد جعلت السنة النبوية من الاقتداء بالأنبياء سبيلا لها في الاهتمام بالعمل قولا وفعلا، فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يحث على العمل فقط وإنما جعله من شيمه في طلب الرزق ولم يجد أي حرج في العمل كراعي عند غيره، وبقي يذكر ذلك لأصحابه، وهو الرسول القائد، والمسؤول الأول على شؤون الدولة، ويبين المصطفى فضل العمل وقيمته رغم ما يلحق بصاحبه من تعب وشقاء فيقول: " « من أمسى كلا من عمل يده أمسى مغفورا له » وفي الأثر أنه صلى الله عليه وسلم قبل يدا ورمت من العمل وقال: هذه يد يحبها الله ورسوله"[39]، وها هو الرسول يحدد أهداف السعي المشروعة: " فعن كعب رضي الله عنه قل: مرَ على النبي صلى الله عليه وسلم رجل فرأى أصحاب سول الله من جدة ونشاطه، فقالوا: يا رسول لله، لو كان هذا في سبيل الله، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن كان خرج يسعى على أولاده صغارا فهو في سبيل الله، وإن كان خرج على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان"[40].

والإسلام إذ يجعل السعي على من هم تحت مسؤولية العامل، فإنه يذكرنا بالواجب والمسؤولية الملقاة على أعناقنا وقد " نهى عن تضييع الأولاد من جراء التقاعس عن العمل من جانب من يتحمل مسؤولية رعايتهم وتولي شؤونهم، حيث يقول صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء إثما أن يضيع من قوت"[41]، وهي إشارة إلى أن العمل ذو طبيعة اجتماعية لا تتوقف آثارها عند العامل فقط، وإنما العمل والسعي في طلب الرزق من خلاله يعدَ سبيلا في الحفاظ على الاستقرار الاجتماعي للأسرة من أولاد وزوجة " فالسعي على العيال، والهوم في طلب المعيشة تكفر ذنوبا لا تكفرها الصلاة ولا الصيام ولا الحج ولا العمرة، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا أنفقته في سبيل الله ودينارا أنفقته في رقبة، ودينارا تصدقت به، ودينارا أنفقته على أهلك، أعظمها أجرا الذي أنفقته على أهلك"[42]، ويواصل الرسول صلى الله عليه وسلم ترغيبه في العمل. " فيذكر أن العامل له من الأجر ما لصائم الدهر وقائم الليل، فيقول الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، رواه لبخاري ومسلم"[43].

والرسول إذ يحث على العمل فإنه يجعله سببا في الكف عن السؤال، حتى وإن رأى البعض أن بعض الأعمال قد تضَر بمكانتهم، إلا أن سؤال الناس يعبر عن أسمى معاني المهانة. والرسول صلى الله عليه وسلم يجعل مكانة المرء في إقباله على طلب الرزق الحلال بنفسه مهما كان نوع العمل مادام مشروعا فيقول " لأن يأخذ أحدكم حبلا فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي

رجلا أعطاه الله من فضله، فسأله أعطاه أو منعه. كما يقول في نبذ السؤال كذلك: من فتح على نفسه بابا من السؤال فتح الله له سبعين بابا من الفقر"[44]، وفي باب الإتقان للعمل، فإن أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وسنته " إغراء في التجويد والإتقان، كما أن فيه تعظيما للعمل يجعله موضع النظر والترقب والتأمل في قدسيته "، وهذا يجعل للعمل أخلاقا وقيما تجعل المسلم يعمل تحت رقابة روحية وضمير حي، بعيدا عن الغش وظلم الناس، "وفيما يخص القيم المرتبطة بالعمل من المنظور الإسلامي فهي كثيرة ومتعددة. مثل الإتقان في العمل الذي يتطلب المهارة، الإخلاص، الولاء للعمل، الإنجاز المفضي إلى جودة ونوعية الإنتاج، التعاون في مجال العمل وعدم اتصافه بالاحتكار والأنانية، فقد ورد في الحديث: المحتكر خاطئ والجالب مرزوق، وقال صلى الله عليه وسلم أيضا: إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه، وهذا يعني أن لا يخرج من يد الصانع إلا ما يكون صالحا للغرض الذي صنع من أجله، فإتقان الصناعة يجعلها تحتل مركزا مرموقا بين الأمم"[45].

والعمل بالنسبة للرسول صلى الله عليه وسلم يفرض على صاحبه الاستمرار بالنشاط ما دام هناك حياة، بل وحتى في أشد الأزمان التي تعرفها البشرية وهي القيامة، وما يصاحبها من نهاية للعالم والكون كله، فيقول صلى الله عليه وسلم: «إن قامت على أحدكم القيامة وفي يده فسيلة فليغرسها»، وهو ما يفسر أن العمل يبقى من صفة المسلم حتى مع نهاية العالم وإن كانت النتائج من خلال آخر نشاط قد لا تدرك، ولكن ذلك يبقى فيه خير ما دام العمل صالحا، فنتائج العمل في الإسلام لا تعود بصورة مباشرة على العامل في الحياة الدنيا بالضرورة، ولكن اعتبارا من أن عمله في مصلحة البشر والكائنات فإنه يبقى صدقة وأجره لا ينقطع، وهذا ما يريد الرسول (ص) أن يبينه في قوله: " لئن غرس أحدكم غرسا، فيأكل منه إنسان أو طير أو بهيمة إلا كتب الله به صدقة "[46]، وهذا ما يجعل الإسلام يحث على الاستمرارية في العمل الذي يجلب النفع والصلاح حتى وإن حضرت الموت وقامت القيامة.

رابعا: العمل في الإصلاح الديني المسيحي مع النهضة الأوروبية.

1. التحول الديني في أوروبا:

لقد انطلقت حركة الإصلاح الديني في أوروبا من منطلقات اندمج فيها الدين مع الفكر، فبعدما كانت الكنيسة الكاثوليكية المسيطرة، يرجع إليها في شؤون الدنيا والدين، وهي نظرة لا تحمل النقاش أو الجدال، فإن مرحلة الإصلاح الديني جاءت لتؤسس نظرة أخرى مغايرة تماما لما هو معهود من طرف رجال الدين الكاثوليك والذين وصل بهم من الوصاية على الناس إلى منحهم صكوك الغفران، وجعلوا بذلك للجنة ثمن، تمنح لمن هو قادر على شاء هذه الصكوك. إضافة

إلى هذه الأبعاد الغيبية فإن الكنيسة الكاثوليكية تدخلت في شؤون الحياة كلها، من تزكية لنظام الحكم الملكي المطلق، الاعتراف بالإقطاع ومناصرته، التدخل في شؤون الكسب واعتبار طلب المال من خلال العمل من المفاسد الروحية، وهي كلها نصوص تريد أن تجعل من المتدين بالمسيحية زاهدا في الدنيا مخلصا لآخرته، ومنه الانصياع لأوامر ونواهي رجل الدين باعتباره العالم والوصي على الدين، والمرجع الذي يعود إليه الحاكم في إدارة شؤون الناس.

ومن منطلقات دينية وفقا لما هو عليه الواقع الأوربي في هذه المرحلة، أخذ الإصلاح الديني طريقه في التغيير مع " الحركة التي قام بها المذهب البروتستنتيني في أوربا الغربية ما بين القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر ميلادي" ، والتي تزعمها كلا من " الراهب الألماني **مارتن لوثر، Martin lauther**، (1483م، 1546م) **وجون كالفن Jahn Calvin** (1509م-1564م) المصلح الديني الفرنسي" فمع هذين الشخصيتين أعلنت المبادئ الجديدة للمذهب البروتستنتيني والتي شكلت الأسس الأولى للتحرر من قبضة رجل الدين والتحول نحو رؤية أخرى للدين، قوامها الفصل بين ما هو ديني وما هو دنيوي، وهي المبادئ التي تنطلق في أساسها على النقاط التالية:

- رفض الاتجار بصكوك الغفران.
- رفض الوساطة بين الخالق والمخلوق.
- تخلي الأمراء عن سلطة الكنيسة الكاثوليكية[47].

إنه التحول العقائدي الذي حرر العقل والفكر ، التحرر الذي خلّص الإنسان الأوروبي من قيد وصاية رجل الدين الذي يزكي بدوره الروحي تبعية الفرد والمجتمع للمنظومة السياسية الاقتصادية القائمة ، ومنه تزكية منظومة العمل على النحو الذي يخدم المتحكمين في الوضع . ما قام به كل من مارتن لوثر وجون كالفن من إصلاح فكري عقائدي ، كان له أثر واضح في خلق منظومة قيمية جديدة ، قوامها حرية الإرادة ، الحرية التي تمحورت في أساسها على واجب العمل .

2. التطور المذهبي وتحول قيم العمل:

تعتبر المبادئ التي أعلنتها حركة الإصلاح البروتستنتية " بمثابة ثورة روحية وقوة محركة لعناصر الحضارة، حيث جعل المذهب البروتستنتي العمل في الفكر الحديث الأساس الذي تقوم عليه الحياة، إذ كان لوثر يدعو إلى تحرير الفرد من الخضوع لرجال الدين وأن صلته بخالقه مباشرة دون وساطة من أحد"[48]، وهي دعوة لتحرير الروح من الاعتقاد الخاطئ قبل تحرير الجسد من خدمة أولائك المستفيدين من تزكية الكنيسة لهم وهم يمارسون الاستغلال ضد العامل،

في أعمال شاقة ومقابل ضعيف، وهنا تلتقي دعوة لوثر مع جهد آخر للمصلح الديني الفرنسي كالفن الذي " أسهم بأفكاره في تحرير القوى البشرية من الخرافات القديمة التي فرضتها تعاليم الكنيسة في العصور الوسطى، فالقيم الأخلاقية عند كالفن تختلف عن الزهد المسيحي المعروف عند الكاثوليك، حيث يمجد المذهب الكالفيني العمل ويعتبره طريق الخلاص وبه يتحقق رضا الله، أي أن مذهب كالفن يحظ على العمل والقيام به والنجاح فيه"[49]، وهذا تأكيد لما جاء به المؤسس الأول للمذهب البروتستنتي مارتن لوثر الذي يرى أن " العمل شيء طبيعي يتميز بخاصيتين، إحداهما ترتبط بالعقاب والأخرى ذات وظيفة تربوية تعليمية، ويعتبر لوثر العمل أساسا يقوم عليه المجتمع"[50] .

بالنسبة للوثر يجعل من العمل أمرا يشمل المجتمع ككل، حيث لا يخص فئة بعينها، وإنما يعدَ واجب تقتضيه الحاجة للكسب الذي تقوم عليه الحياة، وهو مطلب إنساني شامل لا يمكن أن يعْفى إنسان منه ، بمعنى ، العمل ظاهرة إجتماعية تشمل الجميع ، تشمل الجميع دون تمييز ، فالكل في حاجة للكسب ومنه على الجميع أن يسلك سبيل الكسب من خلال العمل ، الأمر الذي ينهي بعض الصفات الممقوتة عن العمل ودوره في تصنيف بعض طبقات المجتمع في أدنى السلم الاجتماعي ، بإعتبارهم خلقوا لأشق الأعمال .

" العمل يهدف أساسا إلى الحصول على الكسب لأن الحياة تحتم على كل فرد أن يعمل لكي يكفي معيشته"[51]، إن لوثر هنا يكون قد قضى على فكرة الاتكالية كما فتح باب حق الكسب من خلال العمل، وهي خطوة أخرى لتحرير العمل والعامل معا، تحرير العمل وجعله ظاهرة اجتماعية تشمل جميع الناس دون تمييز وتحرير للعامل من الاستغلال وحقه في الانتفاع المادي من عمله. ويدمج لوثر كل ما يريد أن يقوله عن العمل من أبعاد اجتماعية ومادية، فيعود إلى الدين ويستمد منه التزكية لكلامه، " فيربط لوثر هذه الفكرة بالنزعة الدينية حتى يرى أن الله قد رسم لكل إنسان مكانة معينة في المجتمع، لذلك فإن من واجب النشاط الإنساني أن يكون موجها لخدمة الله، وهو في نفس الوقت نشاط مقدس ديني، قبل أن يكون نشاطا علمانيا، لذلك يجب أن يكون التوافق بين ما هو ديني وبين ما هو علماني عن طريق الإيمان"[52].

ولقد تضمنت البروتستنتية في منظوماتها الداعية إلى العمل والاستثمار الاقتصادي عدَة مبادئ نذكر منها[53]:

• ينبغي أن يستثمر المسيحيون أموالهم الموفرة في المشاريع الاقتصادية الحيوية ذات النفع العام، هذه المشاريع تمنح العمل لأبناء المجتمع.

• الإيمان بأخلاقيات المذهب البروتستنتي المسيحي وهي النظافة والصبر والعمل؛

• الغفران يحصل للفرد عندما يؤدي واجباته الاقتصادية.

من جملة هذه المبادئ يوضح كالفن فلسفته في النظرة الجديدة للعمل أين يجعل لهذا الأخير أخلاقياته التي تضبط حركة الإنسان وهو يسعى للكسب دون أي قيد روحي فيعتبر العمل "واجبا على كل الناس حتى الأغنياء لأن العمل شيء من إرادة الله، ولكن في الوقت نفسه، واجب على بني البشر ألا يتكالبوا على جني ثمار العمل والثروة والملكية والحياة الرغدة الناعمة، لأن هناك قيمة أخلاقية تحكم أساس وجود مملكة الخالق على وجه الأرض، وتتمثل تلك القيمة فيما أطلق عليه " جنة الفردوس" فإن كالفن كان يريد عالما مثاليا يختفي فيه البؤس والشقاء والسعي وراء الماديات، وبذلك اتخذ العمل معنى روحي ومنهجي وعقلي مقدس ومتخصص"[54]. إنه الإندماج والتكامل بين أبعاد العمل ودوافعه الروحية والمادية المتنورة بنظرة العقل العائد لإستئناف دوره في التفكير والتوجيه لإرادة الإنسان .

ومع ما رفعته المسيحية من شعار " لا خبز للمتعطل"[55]، تكون قد أسست بالفعل قيما وثقافة أخرى تحكم النظرة إلى العمل، وعلى هذا المسار أخذ العمل دوره في الحياة الأوربية ليصبح عنصرا محوريا في بناء هوية الأفراد والجماعات وعلى أساسه يؤكدَ الأفراد مكانتهم الاجتماعية من خلال ما يمكن أن يقدمونه من خدمة أو إنتاج، وهي هوية أخرى تعبر على وجودهم كعمال زيادة على ما يمتلكونه من هوية كمواطنين.

خاتمة:

تعدَ مجموع الأديان، خاصة السماوية من أهم المرجعيات التي صنعت ثقافة العمل واكتسب أهميته المادية والاجتماعية منها، وهو ما كشفت عنه جل العقائد من ارتباط العمل بالعبادة، وحقيقة الاستخلاف في الأرض، سواء من حيث الاستفادة من نتائجه واستغلال الخبرات، أو من حيث التكفير عن الذنوب وطلب المغفرة والثواب، وإذا كانت المنظومات الدينية صريحة في تعبيرها عن معنى العمل بأبعاده الدنيوية والأخروية، باعتباره سبيلا لتحقيقهما معا إذا كان صالحا ومقرونا بالإيمان، إلا أنه ما ينبغي التنبيه إليه هو أن الممارسة الدينية في بعدها الاجتماعي والفردي، جعلت في بعض الأحيان معنى العمل ينحرف عن المبتغى الذي أراده المشرع سبحانه، فتجد مع ما نصت عليه العقائد اليهودية وما تحلى به أنبياء بنو إسرائيل من تمسك بالعمل وقيمه الممجدة له، إلا أنه نجد من الانحرافات عن هذه القيم في المجتمعات الإسرائيلية المتأخرة ما يذم بعض أصناف العمل وأحيانا من منطلقات ترجع إلى أصول عقائدية، حتى يصل به الأمر إلى إباحة طرق الاستغلال والتحايل على غيرهم من المجتمعات والعقائد الأخرى، وإذا تمعنا في تاريخ المسيحية فنجد مع ما اتصف به عيسى عليه السلام وأتباعه من حبهم للعمل والبذل، إلا أن الانحرافات المسيحية فيما بعد جعلت من العمل ما هو صالح لطبقة معينة يمثلها الأشراف والنبلاء، ونوع آخر من العمل الشاق لا يصلح للقيام به إلا أولئك الضعفاء والفقراء من العبيد وأمثالهم ممَن لا يرتقون إلى القيادة وامتلاك عناصر السلطة، والأكثر من ذلك أن العمل في المنظومة المسيحية افتقد إلى بعده الاقتصادي وأصبح طلب المال من خلاله حرام، ولم تصحح هذه النظرة إلا مع مرحلة الإصلاح الديني الذي شهدته أوروبا والتي جاءت بعصر التنوير . أما بالنسبة للإسلام والمسلمين ، فإنه بالرغم ما يعرف عن الإسلام بحثه على العمل وتمجيده له واعتباره السبيل الأفضل للفرد والمجتمع إذا ما أرادوا الدنيا والآخرة، وبالرغم ما ميَز المجتمعات الإسلامية الأولى من تفان في العمل وإتقان في ممارسته ، إلا أن ما يطبع المجتمعات الإسلامية مع القرون الأخيرة جعلها تابعة لغيرها في أمور دنياها، ليصل بالكثير من الدول والشعوب إلى الحدَ الذي انتشر معه الفقر والجوع وكثرة الديون، ومنه التراجع في العزة التي يعرف بها المؤمن، وهي كلها أعراض لمرض يبين مدى الفرق بين ما دل عليه الإسلام كمنظومة لا تقبل الكسل والاتكال، وبين ممارسة دينية مبتورة عن ما ترمي إليه العقيدة من تحقيق بعد الاستخلاف وإقامة الشهادة على الناس والتي لا تكون إلا بالتحلي بما نصَ عليه الإسلام في أمر العمل كعبادة.

قائمة المراجع:

1- كمال، الزيات، (2000)، ***العمل وعلم الاجتماع المهني***، مصر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص11.

2- عبد الغفار، حنفي، (1998)، ***السلوك التنظيمي وإدارة الأفراد***، الإسكندرية، مصر، المكتب العربي الحديث، ص ص42، 43.

3- كمال، الزيات، مرجع سابق، ص118.

4- محمد بيومي، مهران، (2008)، ***بنو إسرائيل، الحياة الدينية والإقتصادية والقضائية***، الإسكنرية، مصر، دار المعرفة الجامعية، ص667.

5- علي عبد الواحد، وافي، (ب.ت)، ***اليهودية واليهود***، القاهرة، مصر، مكتبة غريب للطباعة والنشر، ص ص 120، 121.

6- مهدي حسين، التميمي، (2005)، ***موسوعة مقارنة الأديان السماوية***، عمان، الأردن، دار أسامة للنشر والتوزيع، ص108.

7- المرجع نفسه.

8- المرجع نفسه.

9- محمد، عبد الهادي، (2004)، ***الخدمة الاجتماعية***، بيروت، لبنان، دار العلوم العربية للطباعة والنشر، ص25.

10- المرجع نفسه، ص26.

11- كمال، الزيات، مرجع سابق، ص16.

12- اعتماد، محمد علام، (2007)، ***قيم العمل في المجتمع المصري***، القاهرة، مكتبة الأنجلو مصرية، ص139.

13- أحمنية، سليمان،(2004)، ***التنظيم القانوني لعلاقات العمل في التشريع الجزائري***، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ص25.

14- علي عبد الواحد، وافي، مرجع سابق، ص26.

15- أبو حامد الغزالي، الطوسي، (ب.ت)، ***إحياء علوم الدين***، بيروت لبنان، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ص 75.

16- عبد الحميد، رشوان،(2002)، ***الاقتصاد والمجتمع***، الإسكندرية، مصر، المكتب الجامعي الحديث، ص130.

17- وليم، روت، (2001)، ترجمة عبد الحكيم الخزامي، ***تطور نظرية الإدارة***، القاهرة، مصر، ابتكار للطباعة والنشر والتوزيع، ص7.
18- مرسي، عبد العظيم، (2004)، ***خرافة الثقافة اللادينية***، القاهرة، مصر، مكتبة النهضة المصرية، ص40.
19-كمال، الزيات، مرجع سابق، ص172.
20- المرجع نفسه.
21- عبد الحميد، رشوان، مرجع سابق، ص131.
22-كمال، الزيات، مرجع سابق، ص131.
23- المرجع نفسه ص 125
24- اعتماد، محمد علام، مرجع سابق، ص139.
25- المرجع نفسه ص139.
26- المرجع نفسه ص140.
27- المرجع نفسه
28-كمال، الزيات، مرجع سابق، ص130.
29- عبد الباقي محمد، فؤاد، (1981)، ***المعجم المفهرس لألفاظ القرآن***، مصر، دار الفكر للطباعة والنشر، ص482.
30- المرجع نفسه ص47.
31- أحمنية، سليمان، مرجع سابق، ص29.
32- عبده، عيسى، (د.ت)، العمل في الإسلام، القاهرة، مصر، دار المعارف، ص33.
33- خالد، الزاوي، (2004)، ***البطالة في الوطن العربي، المشكلة والحل***، القاهرة، مصر، مجموعة النيل العربية، ص1.
34- محمدعلي، الصابوني، (1402)، ***مختصر من تفسير إبن كثير***، بيروت، لبنان، دار القرآن الكريم، ص ص499-501.
35- سيد، قطب، (1974)، ***العدالة الاجتماعية في الإسلام***، القاهرة، مصر، دار الشروق، ص11.
36- محمد فاروق ومحمد، الشبول،(2016)، ***العمل وأثر الأجر على عرض العمل والنمو في الإقتصاد الإسلامي***، دليل الباحثين إلى الإقتصاد الإسلامي والمصارف الإسلامية في الأردن (1974-2021) ، عمان، الأردن، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 65.

37- المرجع نفسه ص67.

38- الحاكم محمد عبد الله، المستدرك،(1411هـ)، ***توايخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين***، بيروت، لبنان، دار الكتاب، ص1411.

39- سعيد، لبيب، (1970)، ***دراسة إسلامية في العمل***، القاهرة، مصر، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، ص15.

40- الإمام الحافظ زكي الدين، عبدالعظيم،(1921)، ***الترغيب والترهيب***، القاهرة، مصر، مطبعة السعادة، ص63.

41- عبد العزيز إبراهيم، العمري، (1985)، ***الحرف والصناعة في الحجاز في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم***، الدوحة، قطر، مركز التراث الشعبي، ص45.

42- سعيد، لبيب، مرجع سابق، ص15.

43- إبراهيم، نعمة،(1985)، ***العمل العمال في الفكر الإسلامي***، جدة، السعودية، دار السعودية للنشر والتوزيع، ص17.

44- أحمنية، سليمان، مرجع سابق، ص31.

45- محمد، شامة، (1982)، الإسلام كما ينبغي أن نعرف، القاهرة، مصر، أبو اللو للنشر والتوزيع، ص15.

46-كمال، الزيات، مرجع سابق، ص134.

47- نفس المرجع ص19.

48- محمد، الدقس، (2005)، ***علم الاجتماع الصناعي***، عمان، الأردن، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ص92.

49- المرجع نفسه.

50- كمال، الزيات، مرجع سابق، ص131.

51- المرجع نفسه.

52- المرجع نفسه.

53- إحسان محمد، حسن، (2005)، ***علم الاجتماع الديني***، عمان، الأردن، دار وائل للنشر، ص ص75، 76.

54- كمال، الزيات، مرجع سابق، ص132.

55- Gurevitech(A.J. (1983). les catégories de la culture mediévale. Mouscou: Edition Gallmard, pp216,217.